

الصحابي حذيفة بن اليمان سيرته ودوره في الفتوحات الاسلامية

أ.م.د. عاصم اسماعيل كنعان
د. زكية حسن ابراهيم

كلية التربية / جامعة ديالى
كلية الاداب / جامعة بغداد

المقدمة :

حري بأمة العرب المجيدة ان تدون تاريخ ابطالها العظام وتسجل مآثر رجالها الافذاذ ومن هؤلاء الرجال المتميزين بشجاعتهم وفروسياتهم وعطائهم السخي في سبيل عزة الاسلام ورفعته الامة العربية وسمو مكانتها حذيفة بن اليمان العبسي ذلك الصحابي الجليل والقائد العسكري ورجل السياسة والادارة الذي كان له ولقبيلته (عبس) شأن بارز في تاريخ الكوفة بشكل خاص وتاريخ المدن العربية الاسلامية عبر مراحل تاريخها المجيد بشكل عام .

تناول البحث سيرة وجهاد حذيفة في الكوفة إذ تضمن نسبه ونشأته الاولى واسلامه بين يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ودوره في حروب التحرير العربية ضد الامبراطورية الفارسية في العراق والبيزنطية في الشام ، كما تناول البحث ما تقلده حذيفة من وظائف ادارية في الكوفة والمدائن في عهد الخليفة عمر وعثمان (رض) ، ومن ثم صفاته واخلاقه التي نال بها رضا واستحسان الرسول (صلى الله عليه وسلم) اولاً ومن ثم الخلفاء الراشدين والناس اجمعين واخيراً ختم البحث بقصة وفاة حذيفة في المدائن وهو يحتضر بين ابناء قبيلته .

نسبه ونشأته الاولى :

هو حذيفة بن حسيل وقيل حسيل (١) بن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جرادة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن عبس (٢) ، المعروف باليماني العبسي (٣) حليف بن عبد الاشهل من الانصار (٤) ، ويكنى ابا عبد الله (٥) ، وقيل لابييه حسيل اليمان لانه اصاب في قومه دماً فهرب الى المدينة فحالف بني عبد الاشهل فسماه قومه اليمان لانه حالف اليمانية (٦) ، تزوج حسيل من الرباب بنت كعب بن عدي بن كعب بن عبد الاشهل (٧) من الانصار من الاوس (٨) في المدينة المنورة فولدت له ثلاث ابناء وهم حذيفة بن اليمان ، وسعد بن اليمان ، وصفوان بن اليمان (٩) ، وابنتان هما ليلى بنت اليمان ، وفاطمة بنت اليمان (١٠) .

شهد حذيفة واخوه صفوان ووالده حسيل بن جابر غزوة احد في السنة الثالثة للهجرة واستشهد والده في تلك الغزوة وذلك لما خرج النبي (صلى الله عليه وسلم)

الى احد رفع حسل بن جابر وثابت بن وقش الى الامام مع النساء والصبيان وهما شيخان كبيران فقال احدهما للأخر لا ابا لك ما تنتظر؟ فوالله مابقي لواحد منا من عمره الا ظم حمار ، إنما نحن هامة اليوم او غد ، افلا نأخذ اسيفنا ثم نلحق برسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأخذا اسيفهم ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولا يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون واما حسيل بن جابر فأختلفت عليه اسيف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة : ابي فقالوا : والله ان عرفناه ، وصدقوا ، قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين (١١) فاراد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ان يديه فتصرف حذيفة بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خيراً (١٢) ، وقيل ان متولي قتله كان عتبة بن مسعود اخو عبد الله بن مسعود (١٣)

كان لحذيفة ولدان هما صفوان وسعيد اجمعت المصادر انهما استشهدا بصفيين وكانا قد بايعا الخليفة الرابع علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) بوصية من ابيهما بذلك (١٤) ، غير ان الطبري (ت ٣١٠ هـ) ذكر ان حذيفة بعدما ولاه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) المدائن وكثر المسلمات تزوج امرأة من اهل الكتاب فكتب اليه عمر (رضي الله عنه) : " أنه بلغني انك تزوجت امرأة من اهل المدائن من اهل الكتاب فطلقها فكتب اليه : لا افعل حتى تخبرني إحلال ام حرام وما أردت بذلك ؟ فكتب اليه : لا بل حلال ولكن في نساء الاعاجم خلافة فأنا قبلتم عليهن غلبتكم على نساءكم فقال : الان ، فطلقها " (١٥)

إسلامه :

كان والد حذيفة عاشر اول عشرة اسلموا من بني عيس (١٦) ، فنشأ حذيفة في بيت اسلامي دفع حب الاسلام والإخلاص له إياه الشيخ وهو طاعن في السن الى الشهادة في سبيل الله يوم احد مع انه سقط عنه فرض الجهاد . كان إسلام حذيفة مبكراً إذ كان عمار بن ياسر من السابقين الاولين وحذيفة من القدماء في الاسم ايضاً الا انه متأخر فيه عن عمار (١٧) ، وان حذيفة عندما هاجر الى المدينة المنورة لملاقة الرسول (صلى الله عليه وسلم) خيره الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين الهجرة والنصرة فأختار النصره لانه حليف الانصار من بني عبد الاشهل (١٨) إذ قال له الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " ان شئت كنت من المهاجرين وان شئت كنت من الانصار ، فقال حذيفة من الانصار ، فقال : فأنت منهم " (١٩) فكان حذيفة يقول : " خيرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين الهجرة والنصرة فأخترت النصره (٢٠) ، وذلك لانه اثر ان يبقى مع حلفائه من الانصار من بني عبد الاشهل وعلى الرغم من قدم اسلام حذيفة الا انه لم يشهد بدره وكان سبب ذلك ما ذكره حذيفة فقال : " لا ما منعتني ان اشهد بدره الا اني خرجت انا وابي حسيل اخذنا كفار قريش ، فقالوا : انكم تريدون محمداً فقلنا ما نريده فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرف الى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

عليه وسلم) أخبرناه ، فقال : انصرفا " (٢١) ، وقال حذيفة للرسول (صلى الله عليه وسلم) : " هل نقاتل ام لا ؟ فقال ؟ بلي نفي لهم ونستعين الله عليهم " (٢٢) . لكن حذيفة شهد احد مع النبي (صلى الله عليه وسلم) وما بعدها من المشاهد (٢٣) .

كانت لحذيفة الصحابي الجليل مواقف مشهودة يوم الخندق في السنة الخامسة من الهجرة وقد ذكر قصته يوم الاحزاب قال : " قال رجل من اهل الكوفة يا ابا عبد الله أرأيتم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصحبتوه ؟

قال : نعم ياأبن اخي : قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله كنا نجتهد ، فقال حذيفة : ياابن اخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالخندق وصلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هديا من الليل ثم التفت الينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له الرسول (صلى الله عليه وسلم) الرجعة اسأل الله ان يكون رفيقي في الجنة ، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال : يا حذيفة اذهب فأدخل في القوم فأنظر ماذا يصنعون ولا تحدثنا شيئا حتى تأتينا قال : فذهبت في القوم وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لاتقر لهم قدرا ولا تاراء ولا بناء فقام ابو سفيان فقال : يامعشر قريش ينظر امرؤ من جلسه : قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان جنبي فقلت من أنت ؟ قال : فلان ابن فلان ثم قال ابو سفيان : يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخوف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي تكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمنن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فأرتحلوا فأني مرتحل " (٢٤) ، قال حذيفة وكنت من اشد الناس فرعا واشدهم فرأ قال : فخرجت فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، قال : فوالله ما خلق الله فرعا ولا قرأ في جوفي الاخراج من جوفي " (٢٥) .

قال حذيفة فرجعت الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو قائم يصلي ، فلما رأني ادخلني الى رحلة .. ثم ركع وسجد ، فلما اسلم اخبرته الخبر (٢٦) .

يتبين من ذلك ، ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعث حذيفة وكان من كبار الصحابة بسرية استطلاعية لوحده يوم الاحزاب مخرقا الحصار ومتسللا الى معسكر الاعداء ، وكانت الريح العاتية وجند الله من الملائكة التي لا تراها العين تعبت بهم حيث كان الواجب الذي كلف به دليلا واضحا على ذكائه وشجاعته وحسن تصرفه في معالجة الامور .

ونظرا لقرب حذيفة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) وثقته به وعلو منزلته عنده اعلمه بأسماء المنافقين الذين ارادوا بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ليلة العقبة ولم يكن فيهم قريشي والكل من الانصار ، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " اللهم اغفر لحذيفة ولأمة " (٢٧) لذا كان حذيفة من كبار الصحابة وصاحب سر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المنافقين الذين لا يعلمهم احد غيره (٢٨) . وقد ذكر حذيفة قصة سر الرسول (صلى الله عليه وسلم) له دون غيره من الصحابة قال :

" كنت امشي مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مسيره ذات ليلة فأدلجناه دلجة فنعس رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على راحلته فقال أناس لو دفعناه الساعة فوقع فأندقت عنقه اثر هذا منه فلما تقدمتهم فسرت بينه وبينهم فجعلت اقرأ سورة من القرآن فأستيقظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : من هذا ؟ قلت حذيفة يارسول الله ، قال : ادن ، فدنوت ، فقال : ما سمعت هؤلاء خلفك ما قالوا ؟ قلت بلا يارسول الله ، ولذلك سرت بينك وبينهم قال : اما انهم منافقون فلان وفلان وفلان (٢٩)

دوره في حروب التحرير العربية :

شارك حذيفة بن اليمان في حروب التحرير العربية وشهد حروب تحرير الشام من السيطرة البيزنطية وحروب تحرير العراق من السيطرة الفارسية حيث ابلى احسن البلاء في كليهما وكانت له مواقف مشهورة فيها تجلت فيها النخوة والشجاعة الفائقة وشدة البأس والحمية .

وفي حروب تحرير بلاد الشام شهد حذيفة معركة اليرموك سنة (١٣هـ) حيث أبدى من ضروب الشجاعة والاقدام ما يميزه بين اقرانه من المقاتلين حيث كان ضمن المدد التي ارسلها الخليفة عمر بن الخطاب (رض) الى الشام وكان المبشر الاول للخلفية بفتح الله ونصره المبين (٣٠) .

وفي حروب تحرير العراق من السيطرة الفارسية شهد حذيفة معركة القادسية سنة (١٥هـ) (٣١) التي حررت ارض العراق وكان سعد بن ابي وقاص قائد المعركة قد اختار حذيفة بين الذين انتهى اليهم رأي الناس والذين انتهت اليهم نجدتهم و اضاف الفضل منهم الى الناس ليذكروهم ويحرضوهم على القتال (٣٢) ، كما شهد حذيفة فتح الجزيرة (٣٣) ، ونزل نصيبين (٣٤) وشهد معركة نهاوند الفاصلة سنة (٢١هـ) بقيادة النعمان بن المقرن المزني الذي كان في جيشه وجوه اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٣٥) ، وكتب عمر بن الخطاب (رض) الى حذيفة سر باهل الكوفة حتى يجتمعوا جميعاً بنهاوند (٣٦) وقاد حذيفة احد مجنبتى المسلمين (٣٧) ، وفي خضم المعركة استشهد القائد النعمان بن المقرن فأخذ الراية حذيفة قبل ان تسقط (٣٨) ، حسب اوامر الخليفة عمر (رض) الذي كتب الى النعمان : " ان اصبت فعليكم بحذيفة بن اليمان وان اصيب حذيفة فعليكم جريير بن عبد الله البجلي " (٣٩) .

ولعل في اجتماع الناس الى حذيفة قبل غيره من القادة والرجال البارزين ممن وردت اسماءهم في وصية الخليفة وغيرهم ممن كانوا في ذلك الجيش يكشف بصورة واضحة ما كان يتحلى به من شجاعة فائقة وخبرة عسكرية وقيادة مما جعله عند حسن الظن اهلاً لتلك المهمة ، وقاد حذيفة المعركة حتى الليل وفي عنفوانها انثنى على صفوف الاعداء صائحاً الله اكبر صدق وعده ، الله اكبر نصر جنده (٤٠) ، ثم لوى زمام فرسه صوب المقاتلين في جيوشه ونادى يا أتباع محمد هاهي ذي جنان الله تتهياً لاستقبالكم فلا تطيلوا عليها الانتظار ، هيا يا رجال بدر تقدموا يا أبطال الخندق واحد وتبوك (٤١) ، وانتهت المعركة بنصر المسلمين وكتب حذيفة لاهل نهاوند الامان وجاء فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ما أعطاهم الامان

على انفسهم واموالهم واراضهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنعة ما ادوا الجزية في كل سنة الى وليهم من المسلمين على كل حال في ماله ونفسه على قدر طاقته وما ارشدوا الى السبيل واصلحوا الطرق فمن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة " (٤٢) .

وبعد نهاوند تساقطت مدن ومراكز الدولة الساسانية الواحدة تلو الاخرى امام تقدم حذيفة فسيطر على همذان والديتور والري عنوة (٤٣) وأذربيجان صلحاً (٤٤) وقدر عدد المقاتلين من اهل الكوفة في هذه المعارك بعشرة الاف مقاتل (٤٥) .
وفي خلافة عثمان بن عفان (رض) تولى حذيفة قيادة اهل الكوفة حيث شهد معارك باب الابواب (٤٦) مددا للقائد العربي عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي (٤٧) .
وفي سنة (٣٢هـ) استعمل سعيد بن العاص على خراج بلنجر سلمان بن ربيعة الباهلي وأستعمل على الغزو بأهل الكوفة حذيفة بن اليمان وامرهم الخليفة بأهل الشام وعليهم حبيب بن مسلمة الفهري حيث غزاها حذيفة ثلاث غزوات وكان مقتل الخليفة عثمان (رض) في الغزوة الثالثة (٤٨) .
وهكذا انتهى جهاد حذيفة العسكري كقائد كفاء وجندي شجاع ذو خبرة في فنون القتال وتدبير الامور وهو يقود اهل الكوفة من نصر الى نصر من اجل رفعة الاسلام .

ما تقلده حذيفة بن اليمان من مناصب إدارية :

الى جانب كل ما امتاز به حذيفة بن اليمان من وظائف عسكرية كجندي وقائد شجاع ذو خبرة قتالية جيدة فقد اظهر كذلك مقدرة فائقة في مجال الادارة وتصريف الامور حيث تولى في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) كتابة خرص ثمار الحجاز (٤٩) ، فكان لحذيفة تفكير منظم ببناء لا يقتصر على النواحي الدينية فحسب بل شمل النواحي الدنيوية المهمة فعندما حررت المدائن بعد معركة القادسية وجد حذيفة ان طقسها قد اثر على صحة العرب ابناء الصحراء لوخومة جوها فبادر لأخبار الخليفة عمر (رض) فكتب له : " ان العرب قد أرخت بطونها وخفت أعضائها وتغيرت ألوانها " (٥٠) ، فكتب عمر (رض) الى سعد بن ابي وقاص : " ابعث سليمان رائدا وحذيفة وكنا رائدي الجيش فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم بحر ولا جسر " (٥١) ، وذهب حذيفة ومعه سلمان بن زياد الفارسي يرتادا للمسلمين المكان الملائم فخرج سلمان حتى اتى الانبار فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى اتى الكوفة وكانت حصباء جرداء فأعجبتهما البقعة فنزل فصلياً وكتبوا الى سعد بن ابي وقاص بالخير (٥٢) ، وهكذا تمصرت الكوفة واختطت سنة (١٧هـ) مصرها سعد بن ابي وقاص بأمر الخليفة عمر (رض) في الجانب الغربي من الفرات (٥٣) واختطها ابو الهياج الاسدي عمرو بن مالك (٥٤) وسكن حذيفة وجماعة من بني عبس في فضاء وكانت فيه خيل المسلمين (٥٥) ، وتولى حذيفة بعض امور الكوفة حيث بعثه الخليفة عمر (رض) ومعه عثمان بن حنيف ليمسحا سواد الكوفة وأمرهما ان لا يحملأ أحداً فوق طاقته فأجتبي خراجاً قدره ثمانين ألف درهم (٥٦) .

كما أشارت المصادر التاريخية ان حذيفة تقلد ولاية المدائن في زمن خلافة الراشدين عمر وعثمان (رض) وكان يجيء الى الكوفة كل جمعة على بغلة فارهة (٥٧) ، وكان الخليفة عمر (رض) من عاداته اذا بعث أميراً كتب لهم : " اني قد بعثت فيكم فلاناً فأطيعوه " (٥٨) كما ان عمر (رض) كان يفرح عندما يجد من استعمله اميناً زاهداً في المال فعندما كتب الى حذيفة ان يقدم الى المدينة وبلغه قدومه كمن له على الطريق في مكان لا يراه فلما اراه على الحال التي خرج من عنده عليها فلزمه وقال : انت اخي وانا اخوك (٥٩) .

ومن الاعمال التي قام بها حذيفة توسيعه واحكامه بناء مسجد المدائن الذي بناه سعد بن ابي وقاص (٦٠) ، كما انه انشأ عدد من القناطير فيها ويقال جدها (٦١) ، كما تولى حذيفة ولاية أذربيجان ثم صرفت عنه الى عتبة بن فرقد السلمي (٦٢) ، وفي خلافة عثمان (رض) تولى حذيفة ولاية أرمينيا ثم صرفه عنها وولاها الى المغيرة بن شعبة (٦٣) .

صفات و اخلاق حذيفة بن اليمان :

بإسلام حذيفة واجتماعه بالنبي (صلى الله عليه وسلم) اصبح في عداد الصحابة الكرام (رض) وتذكر لنا المصادر المختلفة انه روي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) مائتين وخمسة وعشرون حديثاً (٦٤) ، روى عنه كل من ابو عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وقيس بن ابي حازم وأبو وائل وزيد بن وهب وغيرهم (رض) (٦٥) . وقد تفقه في الدين فكان من اعلام اصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) (٦٦) ، وكان احد النجباء الوزراء الرفقاء الاربعة عشر الذين قال عنهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " انه لم يكن نبي قبلي الا اعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء واني اعطيت أربعة عشر فذكر حمزة وجعفر وعلي وحسن وحسين و ابا بكر وعمر والمقداد وحذيفة وسلمان وعمار وبلال وابن مسعود و ابا ذر " (٦٧) ، وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) كثير الثقة بحذيفة فكان يقول للمسلمين : ما أقرأك ابن مسعود فأقرأوه وما حدثكم حذيفة فأقبلوه (٦٨) ، وكما نوهنا سابقاً فأن حذيفة كان صاحب سر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المنافقين ، وكان عمر بن الخطاب (رض) كثيراً ما يسأله عن المنافقين ، وقد سأله مرة : الا في عمالي احد من المنافقين ؟ قال نعم واحد ، قال من هو ؟ قال : لا اذكره ، قال حذيفة فعزله كأنما دل عليه " (٦٩) وكان عمر (رض) اذا مات ميت يسأل عن حذيفة فأن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر وان لم يحضر الصلاة عليه لم يحضر عمر (رض) (٧٠) .

وناشده عمر (رض) بالله يوماً : " أنا من المنافقين ؟ فقال : اللهم لا ولا ازكي احداً بعد " (٧١) ، وقد سأل عمر (رض) يوماً أصحابه " لا تمنوا فقال أحدهم أتمنى أن يكون ملأ هذا البيت دراهم فأنفقه في سبيل الله فقال تمنوا فقال اتمنى ان يكون لي ملأ هذا البيت جواهر فأنفقه في سبيل الله فقال تمنوا فقالوا ما نتمنى بعد هذا فقال عمر (رض) لكني أتمنى أن يكون ملأ هذا البيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان فاستعملهم في طاعة الله " (٧٢) .

لقد كان حذيفة كريماً صادقاً أميناً مؤمناً لا يبغى من الدنيا غير مرضاة الله تعالى إذ كان له الأثر الكبير في حث الخليفة عثمان بن عفان (رض) على جمع القرآن الكريم وجمعه في مصحف موحد ، فحينما رجع من جهاده في بلاد فارس قال للقائد سعد بن ابي وقاص أمير الكوفة ، لا لقد رأيت في سفري هذه أمراً لئن ترك الناس مختلفين في القرآن ثم لا يقومون عليه أبداً قال : وماذاك ؟ قال : رأيت أناساً من اهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم وانهم أخذوا القرآن من المقداد ورأيت أهل دمشق يقولون ان قرائتهم خير من قراءة غيرهم ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على ابن مسعود واهل البصرة يقولون مثل ذلك وانهم قرأوا على ابي موسى ويسمون مصحفه لباب القلوب " (٧٣) ، فلما وصلوا الى الكوفة اخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف فوافقه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكثير من التابعين وقال له اصحاب ابن مسعود ما تفكر ؟ السنا نقرأه على قراءة ابن مسعود ؟ فغضب حذيفة ومن وافقه وقالوا : إنما انتم أعراب فاسكتوا فأنما انتم على خطأ وقال حذيفة والله لئن عشت لأتبن أمير المؤمنين ولأشيرين عليه ان يحول بين الناس وبين ذلك (٧٤) ، ثم سار الى عثمان (رض) فأخبره بذلك وقال : " أنا النذير العريان فأدرکوا الأمة " (٧٥) ، فجمع عثمان (رض) الصحابة وأخبرهم الخبر فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة (٧٦) ، وقال حذيفة بشأن ذلك : " لا يامعشر القراء إسلكوا الطريق فلئن سلكنموه فلقد سبقتم بعيداً ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتُم ضلالاً بعيداً " (٧٧) .

إن كل ذلك يدل على مدى ثقة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه من بعده بحذيفة ومبلغ ثقة الناس جميعاً به .

وكما كان حذيفة مخلصاً محباً للرسول (صلى الله عليه وسلم) طيلة حياته كان مخلصاً غاية الاخلاص لخلفائه من بعده فعندما بلغه مقتل عمر (رض) اثنى عليه حذيفة وقال : " إنما كان مثل الاسلام أيام عمر مثل امر مقبل لم يزل في اقبال فلما قتل ادير فلم يزل في ادباره " (٧٨) ، وعندما علم بمقتل الخليفة عثمان (رض) اثنى عليه وقال : " اللهم العن قتلته وشتامه ، اللهم إنا كنا نعاتبه ويعاتبنا فأتخذوا ذلك سلماً الى الفتنة اللهم لا تمتهم الا بالسيوف " (٧٩) كان حذيفة رجل دولة بحق يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويترجم كلام الله وسنة نبيه على الارض بما يخدم مصلحة الناس جميعاً ، فقد روي ان جماعة قدموا الكوفة وكان حذيفة في مسجد الكوفة وفيه خلق كثير كأنما قطعت رؤوسهم يستمعوا الى حديثه فقال لهم : " كان الناس يسألون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الخير وكنتم أسأله عن الشر مخافة أن يدركني " (٨٠) ، وسأل حذيفة : " أي الفتن أشد ؟ قال : أن يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تركب " (٨١) ، هذه عبر وحكم حذيفة تنطبق في كل زمان ومكان لأن قائلها صحابي جليل من ذوي النجدة والكرامة .

وفاة حذيفة بن اليمان :

توفي هذا الصحابي سنة (٣٢هـ) بالمدائن وكان موته بعد أن أتى نعي عثمان بن عفان (رض) الى الكوفة بأربعين ليلة ولم يدرك حذيفة معركة الجمل (٨٢) ، وقد أوردت المصادر التاريخية قصة وفاة حذيفة عندما كان يتهيأ للقاء ربه ، فقد دخل عليه أناس من عبس فسألهم : " أي الساعة هذه ؟ قالوا : جوف الليل او بأخر الليل فقال : اعود بالله من صباح الى النار ثم قال : أجئتم بأكفان ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا تغلوا بأكفاني فإنه أن يكن لصاحبكم عند الله خير فإنه يبدل بكسوته كسوة خير منها وإلا يسلب سلباً " (٨٣) ، اما اخر كلمات قالها في اخر ساعة له من الدنيا فهي : " هذه اخر ساعة من الدنيا ، اللهم إنك تعلم أنني أحبك فبارك لي في لقائك " (٨٤) .

وهكذا انطوت بوفاته صفحة من صفحات البطولة والشجاعة التي خلدت لنا مآثر الاجداد العظيم الذين كانوا رموزاً للخير والعطاء ومثلاً صادقاً للشموخ على مر العصور .

الهوامش و الحواشي

- (١) ابن حبيب ، المجر ، ص ٤١٧ .
- (٢) العصفري ، الطبقات ، ١٦٣/١٢ .
- (٣) ابن حبيب ، المجر ، ص ٤١٧ .
- (٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٦٣ .
- (٥) ابن هشام ، السيرة ، ٨٧/٢ .
- (٦) المصدر نفسه ، ٨٧/٢ .
- (٧) ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ١٦٤ .
- (٨) ابن خياط ، الطبقات ١١٢/١ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح النجاري ، ٩١/٧ .
- (٩) ابن حبيب ، المجر ، ص ٤١٧ .
- (١٠) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٦٣ .
- (١١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٨٧/٢ ، ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ١٩٤ ، ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٤٩٣/١ ، ٤٩٤ ، ابن حجر ، فتح الباري ، ١٠٤/٧ ، الاصابة ، ٣٣٠/١ ، الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، ٧٧٦/١ ، ٧٧٧ .
- (١٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٨٧/٢ ، ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ١٦٤ ، ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٤٩٤/١ ، الكاندهلوي ، حياة الصحابة ، ٧٧٧/١ .
- (١٣) ابن حزم ، جوامع السيرة ، ٦٤ .
- (١٤) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣٣٤/١ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٦٩/٣ .
- (١٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٨٨/٣ .
- (١٦) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٦٣ .
- (١٧) ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٧٣/٧ .
- (١٨) الطبراني ، المعجم الكبير ، ١٨٢/٣ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣٣٤/١ ، ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ٩٧/٤ ، ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٣٩٠/١ ، الصفي ، الوافي بالوفيات ، ٢٢٧/١١ .

- (١٩) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٦٣ .
- (٢٠) الطبراني ، المعجم الكبير ، ١٨٢/٣ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣٣٤/١ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٣٢٧/١١ ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٢٢٠/٢ .
- (٢١) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، ٢٤٩/١ ، ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ٣٣٠/١ .
- (٢٢) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٣٩٠/١ ، الذهبي ، سيرة اعلام النبلاء ، ٢٦٢/٢ .
- (٢٣) ابن سعد ، الطبقات ، ١٥/٦ .
- (٢٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢٣١/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١٣/٤ .
- (٢٥) ابن عساكر تهذيب تاريخ دمشق ، ١٠١/٤ ، ابن كثير البداية والنهاية ، ١١٤/٤ .
- (٢٦) ابن هشام السيرة النبوية ، ٢٣٣/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١١٤/٤ .
- (٢٧) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ٩٨،١٠٠/٤ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٣٢٧/١١ - ٣٢٨ .
- (٢٨) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣٣١/١ ، ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٣٩٠/١ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٧٣/٧ ، الاصابة ، ٧/١ .
- (٢٩) الواقدي ، المغازي ، ١٤٥/١ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ١٨١/٣ .
- (٣٠) ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق ، ٩٦/٤ ، ص ٩٧ .
- (٣١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٥٣٣/٣ .
- (٣٢) المصدر نفسه ، ٥٣٣/٣ .
- (٣٣) الجزيرة اقليم بين دجلة والفرات ويشمل ديار ربيعة ومضر وسميت اجزيرة لانها بين دجلة والفرات . ياقوت معجم البلدان ، ٧٢/٢ .
- (٣٤) نصيبين ، مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، ياقوت ، معجم البلدان ، ٧٨/٤ .
- (٣٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١١٥/٤ .
- (٣٦) المصدر نفسه ، ١٢٨/٤ .
- (٣٧) المصدر نفسه ، ١٦٦/٤ .
- (٣٨) ابن خياط ، تاريخ ، ١٤٣/١ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١١ ، الطبري ، ٣٠٧/٤ .
- (٣٩) خالد محمد خالد ، رجال حول الرسول ، ص ١٩٩ .
- (٤٠) المرجع نفسه ، ص ١٦٩ .
- (٤١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٣٧/٤ .
- (٤٢) المصدر نفسه ، ١٣٣/٤ ، الذهبي ، العبر ، ١٩/١ ، تاريخ الاسلام ، ٤٥/٧ ، اليمني ، مرآة الجنان ، ١١٢/١ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٣٢/١ .
- (٤٣) ابن خياط ، تاريخ ، ١٤٩/١ ، ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ٣٤٣ ، اليمني ، مرآة الجنان ، ١١١/١ ، الحنبلي ، شذرات الذهب ، ٣٢/١ .
- (٤٤) الطبري ، تاريخ ، ٢٤٦/٤ .
- (٤٥) باب الابواب : ميناء كبير على بحر الخزر . ياقوت معجم البلدان ، ٣٠٠/١ .
- (٤٦) الطبري ، تاريخ ، ٢٨١/٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٨/٣ .
- (٤٧) الطبري ، تاريخ ، ٣٠٦،٣٠٧/٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٦٢/٣ .
- (٤٨) الجهشيار ، الوزراء والكتاب ، ص ١٢ .
- (٤٩) الطبري ، تاريخ ، ٤٠/٤ ، ٤١ .
- (٥٠) المصدر نفسه ، ٤٠/٤ ، ٤١ .
- (٥١) المصدر نفسه ، ٤٠/٤ .
- (٥٢) المصدر نفسه ، ٤٢/٤ ، الجنابي ، تخطيط مدينة الكوفة ، ص ٨٥ .
- (٥٣) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٨٤ .
- (٥٤) اليعقوبي ، البلدان ص ٦٩ .

- (٥٥) البلاذري ، فتوح ، ص ٢٨٧ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ١٥١/٢ .
- (٥٦) انظر الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢٨٢/٧ ، ابن عساكر ، التهذيب ، ١٠٦/٤ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٢٥١/١ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ١٨١/٣ .
- (٥٧) ابن عساكر ، التهذيب ، ١٠٥/٤ ، ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٤٦٩/١ .
- (٥٨) ابن عساكر ، تهذيب ، ١٠٣/٤ ، ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ٢٥٠/١٢ .
- (٥٩) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٤٦٩/١ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢٦٣/٢ .
- (٦٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٩٨ .
- (٦١) المصدر نفسه ، ص ٢٨١ .
- (٦٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٣ .
- (٦٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ١٦٨/٢ .
- (٦٤) الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢٦٤/٢ .
- (٦٥) ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ٢٧٧ .
- (٦٦) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٣٩٠/١ ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ٢٢٠/٢ .
- (٦٧) ابن حزم ، جوامع السيرة ، ص ٣٦٩ .
- (٦٨) ابن عساكر ، تهذيب ، ٩٩/٤ .
- (٦٩) المصدر نفسه ، ٩٩/٤ .
- (٧٠) ابن الاثير ، اسد الغابة ، ٣٩٠/١ .
- (٧١) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣٣٥/١ ، الحنبلي ، شذرات ، ٤٤/١ .
- (٧٢) ابن عساكر ، تهذيب ، ١٠٠/٤ .
- (٧٣) المصدر نفسه ، ١٠٢-١٠١/٤ .
- (٧٤) ابن الاثير ، الكامل ، ٨/٣ .
- (٧٥) المصدر نفسه ، ٨/٣ .
- (٧٦) المصدر نفسه ، ٨/٣ .
- (٧٧) المصدر نفسه ، ٨/٣ .
- (٧٨) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢٩٠/٧ .
- (٧٩) ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ٢٤٣ .
- (٨٠) الطبري ، تاريخ ، ٣٧/٤ .
- (٨١) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢٧١/٧ ، ٢٧٢ .
- (٨٢) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣٣٥/١ .
- (٨٣) ابن سعد ، الطبقات ، ١٥/٦ ، ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٦١ .
- (٨٤) الاصبهاني ، حلية الاولياء ، ٢٩٢/٧ .

قائمة المصادر والمراجع :

- أبن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد ، (ت ٦٣٠هـ) -
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ب ت) .
- الكامل في التاريخ ، تحقيق ابو الفداء عبد الله القاضي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٨٧) .
- الاصبهاني ، ابو نعيم احمد بن عبد الله ، (ت ٤٣٠هـ)

- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت - ١٩٦٧) .
- البلاندي ، احمد بن يحيى بن جابر ، (ت ٢٧٩هـ)
- فتوح البلدان ، (القاهرة - ١٣١٨ هـ) .
- ابن الجزري ، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد ، (ت ٨٣٣هـ)
- نهاية النهاية في طبقات القراء ، نشره ج . بيرجستراس ، ط ١ ، الخانجي ، مصر (القاهرة - ١٩٣٢) .
- الجنابي ، كاظم
- تخطيط مدينة الكوفة ، تقديم احمد فكري ، مطبعة دار الجمهورية ، (بغداد - ١٩٦٧) .
- الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس ، (ت ٣٣٠ هـ)
- الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، ط ١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، (القاهرة - ١٩٣٨) .
- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، (ت ٥٩٧ هـ)
- تاريخ عمر بن الخطاب ، نشره محمد امين الخانجي ، ط ١ ، مطبعة السعادة ، (مصر - ١٩٢٤) .
- مناقب امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق زينب ابراهيم القاروط ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، لبنان (بيروت - ١٩٨٠) .
- صفة الصفوة ، ط ٢ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند - حيدر آباد - الركن ١٩٦٨) .
- ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)
- المحبر ، اعتنى بتصحيحه الدكتور ايلزة ليمتن شتزر ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند - حيدر آباد الركن ١٩٤٢ .
- ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسين ، (ت ٣٢٠ هـ)
- الاشتقاق ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر - (١٩٨٥) .
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ، (ت ٧٤٨ هـ)
- سيرة اعلام النبلاء ، تحقيق ابراهيم الابياري ، مطبعة دار المعارف (القاهرة - ١٩٥٧) .
- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مكتبة القدس ، (القاهرة - ١٩٦١) .
- العبر في خير من غير ، تحقيق ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، (بيروت . بلات) .
- الزركلي ، خير الدين
- الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين ، ط ٢ ، (ب ت) .
- ابن سعد ، محمد (ت ٢٢٠ هـ)

- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، (بيروت - بلات) .
الصفدي ، صلاح الدين بن ابيك ، (ت ٧٦٤ هـ)
- الوافي بالوفيات ، اعتناء شكري فيصل ، دار النشر ، (بيروت - ١٩٨١) .
الطبراني ، ابو القاسم سليمان بن احمد ، (ت ٣٦٠ هـ) .